

تفسير السعدي

@ 252 @ وهو أصدق المخبرين . وقد أقام على ذلك ، من الحجج والبراهين . ما يجعله حق اليقين . ولكن أبى الظالمون إلا جحودا ، وأنكروا قدرة الله على بعث الخلائق ، فأوضعوا في معاصيه ، وتجروا على الكفر به ، فخسروا دنياهم وأخراهم . ولهذا قال : ! 2 . ^ . ! 2 وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم * قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين * قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * من يصرف عنه يومئذ رحمه وذلك الفوز المبين * وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير * وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير * قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هـ ذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) ^ اعلم أن هذه السورة الكريمة ، قد اشتملت على تقرير التوحيد ، بكل دليل عقلي ، ونقلي . بل كادت أن تكون كلها ، في شأن التوحيد ، ومجادلة المشركين بالله ، المكذبين لرسوله . فهذه الآيات ، ذكر الله فيها ، ما يتبين به الهدى ، وينقمع به الشرك . فذكر أن ! 2 ! 2 ! تعالى ! 2 ! . وذلك هو المخلوقات كلها ، من آدميها ، وجننها ، وملائكتها ، وحيواناتها وجماداتها . فالكل خلق مدبرون ، وعبيد مسخرون لربهم العظيم ، القاهر المالك . فهل يصح في عقل ونقل ، أن يعبد من هؤلاء المماليك ، الذي لا نفع عنده ولا ضرر ؟ ويترك الإخلاص للخالق ، المدبر المالك ، الضار النافع ؟ أم العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، تدعو إلى إخلاص العبادة ، والحب ، والخوف ، والرجاء لله رب العالمين ؟ ! 2 ! 2 ! لجميع الأصوات ، على اختلاف اللغات ، بتفنن الحاجات . ! 2 ! 2 ! بما كان ، وما يكون ، وما لم يكن ، لو كان كيف كان يكون ، المطلع على الظواهر والبواطن ؟ ! 2 ! 2 ! لهؤلاء المشركين بالله : ! 2 ! 2 ! من هؤلاء المخلوقات العاجزة ، يتولاني ، وينصرني ؟ فلا أتخذ من دونه تعالى وليا لأنه ، فاطر السموات والأرض ، أي : خالقهما ومدبرهما . ! 2 ! 2 ! أي : وهو الرازق لجميع الخلق ، عن غير حاجة منه تعالى إليهم . فكيف يليق أن أتخذ وليا غير الخالق الرازق ، الغني ، الحميد ؟ ! 2 ! 2 ! بالتوحيد ، وانقاد له بالطاعة . لأنني أولى من غيري ، بامثال أوامر ربي . ! 2 ! 2 ! أي : ونهيت أيضا ، عن أن أكون من المشركين ، لا في اعتقادهم ، ولا في مجالستهم ، ولا في الاجتماع بهم ، فهذا أفرض الفروض علي ، وأوجب الواجبات . ! 2 ! 2 ! فإن المعصية في الشرك

، توجب الخلود في النار ، وسخط الجبار . وذلك اليوم ، هو اليوم الذي يخاف عذابه ،
ويحذر عقابه ؛ لأنه من صرف عنه العذاب يومئذ ، فهو المرحوم ، ومن نجا فيه ، فهو الفائز
حقا . كما أن من لم ينج منه ، فهو الهالك الشقي . ومن أدلة توحيده ، أنه تعالى ،
المنفرد بكشف الضراء ، وجلب الخير والسراء . ولهذا قال : ! 2 2 ! من فقر ، أو مرض ،
أو عسر ، أو غم ، أو هم أو نحوه . ^ (فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير ، فهو على كل
شيء قدير) ^ . فإذا كان وحده النافع الضار ، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية
والإلهية . ! 2 2 ! فلا يتصرف منهم متصرف ، ولا يتحرك متحرك ، ولا يسكن ساكن ، إلا بمشيئته
. وليس للملوك وغيرهم ، الخروج عن ملكه وسلطانه ، بل هم مدبرون مقهورون . فإذا كان هو
القاهر ، وغيره مقهور ، كان هو المستحق للعبادة . ! 2 2 ! فيما أمر به ونهى ، وأثاب ،
وعاقب ، وفيما خلق وقدر . ! 2 2 ! المطلع على السرائر والضمائر ، وخفايا الأمور ، وهذا
كله من أدلة التوحيد . ! 2 2 ! لهم لما بينا لهم الهدى ، وأوضحنا لهم المسالك : ^ (أي
شيء أكبر شهادة) ^ على هذا الأصل العظيم . ! 2 2 ! أكبر شهادة ، فهو ! 2 2 ! فلا
أعظم منه شهادة ، ولا أكبر ، وهو يشهد لي بإقراره وفعله ، فيقرني على ما قلت لكم . كما
قال تعالى : ! 2 2 ! . فإن حكيم قدير ، فلا يليق بحكمته وقدرته ، أن يقر كاذبا عليه ،
زاعما أن ا أرسله ولم يرسله ، وأن ا أمره بدعوة الخلق ، ولم يأمره ، وأن ا أباح له
دماء من خالفه ، وأموالهم ونساءهم ، وهو مع ذلك ، يصدق بإقراره وبفعله ، فيؤيده على
ما